

فرحان العنزي

فضل العلم والعلماء

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

فضل العلم والعلماء

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ...

فيا معاشر المسلمين: لا يخفاكم أن الله ﷻ يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، وأن الله ختم النبوة والرسالة ببعثة محمد ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال الحق سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وصحَّ عن النبي ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لا

نَبِيِّ بَعْدِي» (١).

وإن الله ﷻ أورث علم النبي ﷺ ورسالته ودينه، أورثه للعلماء الربانيين، فالعلماء في أمة محمد ﷺ كالأنبياء في بني إسرائيل، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا هَذَا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ» (٢).

ولذلك هذه الأمة المباركة بهذا النبي الكريم ﷺ رفع الله ﷻ شأن علمائها، وأعلى كعبهم، وجعلهم سادة وقادة في الدنيا ويوم القيامة، ولذلك امتنَّ الله ﷻ على هذه الأمة بهذا الميراث العظيم، ميراث لا يقوم على الدرهم ولا الدينار، وإنما ميراث قائم على وحي الله ﷻ وتقدَّس.

ولذلك قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد صرخ في أصحاب السوق قائلاً: "يا أيها التجار، يا أيها الناس أنتم ها هنا وميراث محمد ﷺ يقسم في المسجد"، فهرع الناس زرافاتٍ ووحداً وقد انقده في مخيلتهم، وترى على بالهم أن هذا الميراث مجرد دراهم ودنانير، فإذا بهم لا يجدون شيئاً، لا يجدون ما انقده في أذهانهم، وإنما وجدوا حلقات علم، ودروس ذكر، فرجعوا بغير الوجوه، ولا بالحماس الذي ذهبوا به، يقولون لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أين هذا الميراث يا أبا هريرة؟ قال: ما وجدتم؟ قالوا: وجدنا حلق".

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، الترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، من حديث أبي

الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢١٢).

علم، ودروس ذكر، فقال: هذا ميراث محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ^(١).

وقد رفع الله **عَلَيْكَ** شأن العلماء، قال سبحانه: **﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** [المجادلة: ١١]، وأمر **عَلَيْكَ** الناس بسؤالهم، وباللجوء إليهم، وبمراجعتهم حينما تعترضهم المشكلات والمسائل والعقبات، قال سبحانه: **﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل: ٤٣]، وقال **عَلَيْكَ**: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [الزمر: ٩] في قاعدة ترسم الميزان الراجح لأهل العلم بأن الله **عَلَيْكَ** فضلهم على سائر الناس تفضيلاً.

وقد صحَّ عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أنه قال مشبهاً العلماء بأمثال النجوم في السماء يهتدي بها الساري في ظلمات الليل البهيم، هكذا العلماء يُهتدى بهم، ويُستضاء بهم، بل هم سفينة النجاة بإذن الله رب العالمين.

ولذلك كان أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** هم أول من ورث تركة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فنقلوا علم القرآن والسنة إلى هذه الأمة، ولا زلنا نتفياً ظلال هذا الخير، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما منزلة العلماء: فكما ذكرت لكم أيها المؤمنون قبل قليل بأن الله **عَلَيْكَ** رفع ذكرهم في الدنيا، وأما يوم القيامة فهم من أول الناس نجاةً، وأكثرهم لحوقاً بمرتبة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

والنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أبدأ وأعاد في قضية العلم والعلماء، وبين **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أن رتبة العلم جليلة، ومنزلته عظيمة، فقال

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٤٢٩) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وقال الالباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ١٤٤): حسن موقوف.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنْ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ، وَالنَّمْلُ فِي جُحْرِهَا لِيَسْتَغْفِرُونَ لِمُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» (١).

وصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ» (٢).

أيها المؤمنون: إن هذه الأمة عمودها الفقري، وقاعدتها الأساس قائمة على العلماء الربانيين الذين ينزعون إلى كتاب الله ﷻ، وإلى سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على فهم أصحاب رسول الله صلى الله وسلم وبارك عليه. إن العلماء هم في واقع الأمر عماد البلاد، وهم في واقع الأمر المصايح التي يُستضاء بها، ولذلك وجودهم في الأمة غنيمة، وذهابهم عن الأمة ظلمة ومصيبة.

جاء في أحد أوجه التفسير في قول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١] قال ابن عباس ومجاهد في قول الله ﷻ: ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١] قال: "ذهاب العلماء".

فإذا ذهب العلماء أوشكت الساعة أن تقوم، ولذلك تضافرت الأدلة من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن اضمحلال الأرض بذهاب العلماء إنما هي نذارة بقرب ودنو الساعة نسأل الله لنا ولكم حسن الختام.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

نعم عباد الله: وإن من التباشير العظيمة التي يُسرُّ بها المسلم في ظل ذهاب كثيرٍ من العلماء من التباشير التي تُثلج الصدور، وتُسرُّ بها القلوب هو أن الله ﷻ تكفل بحفظ دينه وكتابه ﷻ، قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وإن الله ﷻ لا يزال يُنبت من هذه الأمة من يقوم بحفظها، قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَبِينًا** «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ عَلَيَّ رَأْسَ كُلِّ مِائَةِ عَامٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا» (١).

أبيها المؤمنون: واجبنا تجاه أهل العلم:

أولاً: احترامهم، وتقديرهم، وكثرة الدعاء لهم بالتأييد، وبالنصر وبالتسديد، وبصلاح القول والعمل.

الأمر الآخر: الالتجاء إليهم في وقت المعضلات، ذلك أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أخبرنا خبراً مفزِعاً، فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** مَبِينًا خطورة ذهاب العلماء قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤْسَاءَ جُهَالًا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَأَصْلُوهَا وَأَصْلُوهَا» (٢).

ونحن وإياكم أبناء الواقع، عشنا وإياكم فتنًا متلاحقة، وأيامًا سوداء بسبب الفتن التي ضربت على الأمة في السنوات الماضية بجدرانها الأربع، وإذا دققت فيها يا عبید الله وجدت أن أغلب تلك الفتن هي حينما صدَّ الناس عن العلماء، وأخذوا الفتاوى من جهالٍ لم يقرحوا، ومن صبيانٍ لم يتمرسوا على

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٨٥٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥٢٧)،

من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

العلم، وإنما قَمَّشُوا المسائل، وأخذوا نُتْفًا فبدأوا يحكمون في رقاب عباد الله تكفيرًا وتضليلًا وتفجيرًا، نسأل الله أن يُعافينا وإياكم وجميع المسلمين.

ولذلك مطلوبٌ من الأمة وهو حتمٌ لازمٌ أنها إذا وقعت في مشكلةٍ فرديةٍ أو جماعيةٍ أن تلجأ إلى الراسخين من أهل العلم الذين رسخت أقدامهم في الدين، وُقِّتَ أعضاضهم في العلم، يلجأون إليهم فيأخذون منهم الفتاوى.

وقد ابتئنا في هذا الزمان بفضائياتٍ تصدَّر بها مجاهيل في العلم، لا يعرف أحدهم أبجديات العلم فضلًا عن أن يغوص في مشكلاتها ومعضلاتها، والناس يتحلَّقون حولهم والقلوب ضعيفة، وشبهه أخذة، والناس يتسمَّرون أمام التلفاز وأما تلك الفضائيات ظنًا منهم أن كل من لبس عمامة، أو وضع بشتًا على كتفيه، أو رفع لسانه بقال الله ويقال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أنه من أهل العلم والفتيا حتى ظلَّ فئامٌ من الناس فانحرفوا عن سبيل محمدٍ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**. الحذر الحذر يا أمة الإسلام.

وإن مما يُفرح الإنسان لا سيما في بلادنا هذه حينما تعانق سلطان العلم مع سلطان الحكم، فبدأت هذه البلاد بتخريج أفواجٍ من العلماء الربانيين الذي يشهد لهم القاضي والداني بمتانة الديانة والعلم، وإن مما يؤسف له أن يقع كثيرٌ من أبناء المسلمين لا سيما في بلاد الحرمين الشريفين، يقعوا ضحية تلك القنوات الفضائية فيتلقَّفون الفتاوى شرقًا أو غربًا وهي بعيدةٌ عن سنَّة محمدٍ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

الأمر الآخر الذي يجب علينا تجاه العلماء بعد احترامهم وتقديرهم، وكثرة الدعاء إليهم، واللجوء إليهم في المعضلات والمشكلات، وحينما يعترض الإنسان سؤالًا ما من الواجبات: أيضًا أن نؤلِّف القلوب عليهم، فما من أحدٍ في هذه الأمة معصومٌ حاشا محمدًا **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فالله تعالى**

عصمه في تبليغ دينه ورسالته، وما من عالمٍ إلا وتقع منه ذلّة، ولا يعني بالضرورة أبداً حينما يقع العالم في ذلّة أن يسعى الناس في إسقاطه، أو الالتفات إلى غيره من أهل البدع والمخالفات، بل يجب أن يُصان عرضه، ويُحفظ حقه، وأما خطأه فمردودٌ عليه؛ لأن الحق يُمثّل نفسه، والرجال يُعرفون بالحق، ولا يُعرف الحق بالرجال، هذه قاعدةٌ رسمها أصحاب محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفقني الله وإياكم لاتباع الكتاب والسنة، وأن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن يُمتعنا وإياكم المتاع الحسن في ديننا وفي دنيانا، وأن يرزقنا وإياكم شربةً من يد محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا نظماً بعدها أبداً، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، ويا فوز المستغفرين أستغفر الله.



الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى، وعلى من بأثره اقتفى إلى يوم الحشر والمنتهى.

أما بعد...

فاتقوا الله يا عباد الله، واعلموا أن في تقوى الله ﷻ نجاتكم يوم يُنصب الصراط، قال الحق سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۗ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ۗ﴾ [مريم: ٧١-٧٢]

أمة الإسلام: في السنوات الأخيرة أصبح ذهاب العلماء ظاهرةً مقلقة، ففي كل سنة يذهب عالمان اثنان وثلاثة من العلماء الربانيين، يذهبون إلى لقاء ربهم ﷻ، وأصبح وجود العلماء في الأمة أندر من الكبريت الأحمر، وهذا يدعونا إلى أن ندق جرس الإنذار في نفوسنا وفي أذهاننا.

ذلك أن وجود العلماء في الأمة وجودهم غنيمةٌ باردةٌ بإذن الله ﷻ؛ لأن الناس جميعاً حاجتهم إلى العلماء حاجةٌ شديدةٌ وملحةٌ، فما من أحدٍ إلا وهو محتاجٌ إلى العلماء، ذهابهم في ظلِّ فضاءٍ مفتوح، وفي ظلِّ تصدُّرٍ فاضحٍ في كثيرٍ ممن لا يُحسنون العلم، ولا يُحسنون المسائل، فأصبح الجهل عامًّا مع كثرة توفُّر الوسائل التي تعين على طلب العلم.

ولذلك مطلوبٌ من كل مسلم أن يحمل همَّ طلب العلم، فالعلم أعظم الجهاد في سبيل الله ﷻ، نصَّ على ذلك جمعٌ من أهل التحقيق من أهل العلم كشمس الدين بن القيم رحمة الله تعالى عليه وغيره من العلماء الربانيين، فإذا

أردتم أعظم الجهاد فعليكم بالعلم يا أمة محمدٍ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

العلم يُميِّز الإنسان به بين الحق والباطل، وبين الصحيح والسقيم، وبين الظلام والنور، وبين السنَّة والبدعة، وبين المقبول والمردود، العلم يا أمة محمدٍ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، العلم هو العمود الفقري لهذه الأمة، العلم هو قطب رحي هذه الملة، يقوم كل شيء على العلم، فيصدر من القرآن، ويصدر من سنَّة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أهيب بكم أيها الشباب بالالتحاق بدروس العلم، وبالانخراط في الكليات الشرعية في كليات الشريعة وأصول الدين، وطلب العلم الشرعي، فإن مما منَّ الله تعالى عليكم في هذه البلاد أن وفرت هذه الحكومة المباركة جامعاتٍ تتضمن كلياتٍ للشريعة يُدرَّس فيها أمهات الكتب الشرعية التي يتخرَّج بها الإنسان قاضيًا، أو مفتيًا، أو داعيًا إلى الله **تَعَالَى** على أساسٍ صحيحٍ بإذن الله **تَعَالَى** متى ما إن ارتسم الخطى الثابتة التي عليها علماؤنا ومشايخنا، رحم الله الأموات وحفظ الأحياء.

وأهيب بالجميع أيضًا فالعلم ليس له سنٌّ يا أيها المؤمنون، العلم ليس له سنٌّ، وليس له حدٌّ، فالعلم لا يعرف صغيرًا ولا كبيرًا، فكثيرٌ من أصحاب محمدٍ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** طلبوا العلم في سنٍّ متأخرة، بعد الخمسين بل له الستين طلبوا العلم، واعتكفوا في مسجد الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

وإن مما يُقَطِّع نياط القلوب، ويبعث الحزن والأسى في النفوس ما عليه كثيرٌ من الناس من المسلمين، بل من جنس المتدينين أيضًا، يبقى السنوات الطويلة عشر سنوات أو عشرين، فإذا نظرت في صلاته تجده يُخطئ في سنَّة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

نعم عباد الله: سبب ذلك انصرافهم عن العلم، وانشغالهم بأمر الدنيا، والله الذي لا إله إلا هو إن المرء ليتقطع أسمى حينما يُصلي وأمامه رجلٌ فإذا به إذا سجد يرفع رجله، والنبى **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ»^(١) في إشارةٍ مع أنها مسألةٌ دقيقة قد يقول بعضكم: كيف يُنْبئُ عليها خطيبنا؟

أقول: هذه المسألة قد تُبطل صلاتك أيها المسلم؛ لأن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ» وعدّها **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** عضواً، ومن الناس تجده يُصلي منذ خمسين سنة ومع ذلك يُخطئ في هذه المسألة، مسألةٌ واحدة.

وإذا نظرت إلى باقي أمور الصلاة تجدها أموراً والله لا تمتُّ إلى سنّة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بصلة؛ من ذلك مثلاً: الوقوف في الصف، النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ما كان يُكَبِّرُ في الصلاة حتى يتيقن أو يغلب على ظنه أن الناس قد صفوا صفّاً كالبنيان المرصوص، كان يقول: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»^(٢) فبيّن لهم **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كيف يصفون.

انظر في صلاتنا يا عبید الله تجد بين الرجل والرجل فراغ رجل كامل، ومن الناس من يتمايل في صلاته ذات اليمين وذات الشمال، وهذا أمرٌ قد يظنُّ البعض أنه أمرٌ يسيرٌ وسهل، ولكن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ربطه بأمرٍ كونيٍّ قدرى، فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»^(٣) ربطه بأمرٍ

(١) أخرجه البخاري (٨١٢)، ومسلم (٤٩٠)، من حديث عبد الله بن عباس **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه مسلم (٤٣٠)، من حديث جابر بن سمرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٣) أخرجه مسلم (٤٣٢)، من حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

قدري.

إذا رأيتم الناس لا يقفون في صفوف الصلاة صفًا كالبنيان المرصوص، يلصق الرجل كتفه بكتف صاحبه، وقدمه بقدم صاحبه، إذا رأيت هذا المنظر فاعلم أن القلوب ستتنافر وإن اجتمعت الأجساد؛ لأن هذا الكلام كلام الصادق المصدوق صلى الله وسلّم وبارك عليه.

أيها المؤمنون: لا أريد أن أسهب في ذكر المسائل التي يقع فيها كثير من الناس، وإنما أردت أن أهيبّ المواجه، وأن أبعث الساكن في النفوس إلى طلب العلم الشرعي، يجب علينا جميعًا أن نتعلم من أمورنا ما به نجاتنا وقبول عبادتنا.

أظن أنه لا يُكَلِّفك إذا جلست خمس دقائق، أو عشر دقائق عند إمام المسجد تسأله عن كثير من المسائل، لا يُكَلِّفك شيئًا، فأنت تقعد الساعات الطوال محلّقًا حول المباريات، وتقعد الساعات الطوال تحفظ قصائد الشعر النبطي والعربي، وتقعد الساعات الطوال في الاستراحات، وهذه أمورٌ مباحة لا أقول فيها شيئًا، أريد منك أن تقع خمس دقائق، أو عشر دقائق عند إمام المسجد تقول: **علمني كيف أصلي، وكيف سنّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟**

حاجتنا أيها المؤمنون إلى الالتفاف إلى العلماء، وإلى العلم في مرتبة الضرورة لا سيما وأنتم تشاهدون وتسمعون رحيل وقوافل موتى العلماء ترحل إلى الدار الآخرة، فقد يكون حينما تشجع ابنًا من أبنائك في دخول كلية شرعية قد يكون هذا الابن عمودًا من أعمدة الإسلام، وقد يكون صمام أمان من فتن مترادفة على أمة الإسلام حينما يكون مفتيًا، أو قاضيًا، أو عالمًا، أو داعيةً إلى الله ﷻ.

والحذر الحذر من القول النشاز، ومن العبارات التي يُطلقها من يُريدون بهذه الأمة شرًّا، الحذر من تلك العبارات الماكرة والخادعة التي تُزين الباطل للناس، وتريد صرف الناس عن العلم الشرعي، الجعبة ملاًى، والحديث ذو شجون، ولكنها عناوين عريضة، ومسائل أسأل الله ﷻ أن ينفعني وإياكم بها.

هذا وصلوا وسلّموا على النبي المصطفى، والرسول المجتبي إذ أمركم الله ﷻ بالصلاة والسلام عليه، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

صحَّ عنه أنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١).

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر اللهم الكفر والكافرين، واحمي حوزة الدين، واحفظنا وجميع المسلمين، إنك على كل شيء قدير، اللهم إنا نعوذ بك من الوباء، ومن الربا والزنا، ومن سائر الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة، وعن سائر بلاد المسلمين عامةً برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

اللهم إنا نعوذ بك من درك الشقاء، ومن سوء القضاء، ومن شماتة الأعداء، حبّب اللهم إلينا الإيمان، وزينّه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من عبادك الراشدين، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ وخطيئة، مصلياً ومسلماً على النبي المصطفى وآله، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وأقم الصلاة.

عبد العزيز
فرحان

الدكتور عبد العزيز فرحان الجمالاني العنزي
Aziz Farhan AlHeblani AlEnezi